الفصل الاول

تجولت بها سيارة الاجرة في الحي الذي تعودت ان تزوره على فترات متباعدة جدا.الحي ذاته لكن المنزل مافتأ يتغير من موقع جيد الى افضل منه.حتى توقفت السياره امام البيت الضخم ذي الطراز الجورجي و الذي اوحى تعدد نوافذه بانه قد شيد ليضم شعب احدى الدول الصغيره.

تقدمت من البوابه معطية اسمها للحارس الذي سمح لها بالدخول بعد ان تحدث بالجهاز المعلق باذنه .تجاوزت ايزابيلا الممر العريض المفضي الى باحة واسعه وكان من المتوقع كالعادة ان ترى التصميم الياباني للحديقه لم تستظرفه ابدا وان ظلت والدتها متمسكة به طيلة تلك السنوات وفي كل بيت تنتقل اليه .يقال بانه يدعو للتامل والسكينه لكنها تراه تصميما بلغ التصنع في بحثه عن العفويه. امتدت على طول الممر مصابيح شرقية قصيره بزجاج ضخم لو لمحتها في ظلمه لافزعتها كانها رؤوسا لبشر. احقا يشتري ذو بصر شيئا كهذا.

فتح الباب قبل ان تطرقه بواسطة امراة ضخمة ترتدي زيا رمادي اللون وبعد نظرة قصيره للشابة الواقفة امامها دعتها للدخول بكل احترام.

ومن خلف الخادمه اتي صوت والدتها الرنان مرحبا ومصحوبا بابتسامتها الشهيرة التي طالما احتلت اغلفة المجلات والشاشات الفضيه ولولا شهادة مولدها لأستيقن المرء بان هذه المراة الفاتنه لم تتجاوز الثلاثين عاما. والفضل لاعجوبتي البوتكس والسيلكون.

تبادلتا تحية سريعه قبلة حرصت ايزابيلا على ان تكون خفيفة الوقع ففي الطفولة كان لديها شك بان وجه والدتها قد صنع من مادة قابلة للكسر.

تجولت عيني المراة الاكبر سنا فالفتاة التي بالكاد رات انعكاسا لها في ملامحها.ربما فقط الهيئة الضئيلة الناعمه والبشرة العاجيه والخصلات العسلية المذهبه زمت المراه شفتيها وهي تلاحظ نهايات الخصل وقد توهجت بلون بنفسجي. ولم يبدو انها استساغت الحلي المبالغ بها من

www.liilas.com

سلاسل احاطت عنقها الموشوم الى حلقات متعددة حول الاذنين ناهيك عن البنطال الجلدي الاسود والسترة المماثله التي اعتلت قميصا شبكيا. تحركت يد الفتاة تحت تامل والدتها مزيحة الخصلات المتمرده عن عينيها المحاطتين بكحل داكن عريض فسمع للاساور الفضية رنينا مزعجا . كانت تعلم بان هيئتها لم ترق والدتها لكنها متاكدة ايضا بانها لاتتمنى ان تراها شابة عاديه. ادركت مبكرا كراهية امها لواقع ان ابنتها باتت امراه وخشيتها ان ينتبه الاخرون لتلك الحقيقه فابنتها هاتف من الزمن يذكرها بما بدات تخسره من شباب وفتنة تمكنت من قلوب الرجال عبر الشاشة وخلال سنوات عمرها الثماني واربعون السالفه.

- تغيرات كثيره تبدو لي منذ لقاءنا الاخير
- حسنا انها عام ونصف..لقد قلت وداعا لسنوات المراهقه
- ليس وداعا كلي
- اه تعنين خصلات شعري الملونه
- واللباس والحلي الاستثنائيه

- آن لي ان انتقم من لباس المدرسة الممل

ابتسمت كلتاهما للموضوع السمج الذي افتتح به نقاشهما قبل ان تتقدمها والدتها للصالة العاجية التي شكلت مركز البيت. وباستثناء اختيارها لحديقتها فان ذوق والدتها لايضاهى ولا شك بانها وحتى لو استعانت بمصمم ديكور الا ان لمساتها في كل زاوية فالمنزل .جلست والدتها على الاريكة القانية الحمره في الجهة المقابلة لها بعد ان طلبت من الخادمه احضار الشاي لهما.ومن اعماق قلبها الذي ظنت بانها حصنته ضد التوقعات العظيمه تمنت ايزابيلا لو ان والدتها ترتاح في جلستها وتكلمها دون ذاك الاسلوب الغريب الذي تشعر من خلاله بانها تحت الاختبار. كانما والدتها تترقب نتيجة لايرتجيها سواها.

لم يبدو بان والدتها على استعداد للبدء في الكلام فقالت على مضض وقد وقعت عيناها على صورة الرجل السبعيني الذي تصارعت ملامحه لتتوسط وجهه.

- كيف حال كولن.

www.liilas.com

- هو بخير ..لقد بدا يتعافى من عواقب انهيار البورصه ونجونا رغم افلاس الاخرين.
- جيد شيئ متوقع من كولن انه شديد الذكاء فيما يختص بالمال
- من الافضل له أن يكون كذلك

اكملت ايزابيلا في فكرها مالم تقله والدتها بجملتها التي قيلت بخفه وان اصابت كبد الحقيقه.لو لم يتجاوز كولن الازمة الاقتصاديه الطاحنه لتجاوزته والدتها واستعاضته بزوج اخر.ففانيسا لوردس لم تخلق لتحيا على اديم الارض بل بين ماجاد به عالم الاثرياء من مال ومتع.

- والان ماسبب لقاءنا الجميل هذا.

ضاقت عينا والدتها للسؤال الفظ والمباشر لكن ملامحها عادت للانبساط.وقد قررت بان الحقيقة ستختصر عليها الكثير.

- جدك مريض كما وصلني من انباء وثيقه..انه يعاني من داء قد لايبقيه كثيرا.
- جدي ! تقصدين اوغستين.
- واي جد قد اعنيه.

رفعت ايزابيلا حاجبيها في سخرية ذاتيه صحيح اي جد تقصد فوالدتها يتيمة الابوين وهي تشك بان فانيسا ولدت مثل البشر.للاسف والدتها اشبه ماتكون بسمكة القرش تولد لتنبذ من قبل امها وتلد لتنبذ مولودتها.

- لا اظنك تشعرين بتانيب ضمير متاخر لعلاقتكما السيئه.
- لم افعل ابدا ما يستحق ان اتقلب في فراشي ليلا..لكنها انت من اجد اليوم باني كنت مقصرة حين لم اشجعك على توثيق علاقتك به وباسرة ابيك عموما.

واجهت ايزابيلا صعوبة في تقبل ماتسمعه خصوصا وقد قيل بتلك الطريقة المؤثرة ورنين الصدق اشد وضوحا من ان يصدق.

- فانيسا ما هي الغنيمة هنا..تعلمين اني بت فالحادية والعشرين..وقد تابعت من افلامك مايكفيني لاعرف الاداء السيئ.
- وقاحة لا تغتفر(ولبرهه بدى بان فانيسا ستقول امرا اخر لكنها ابتسمت مردفة)لكني لم اعتد ان احمل حقدا .

www.liilas.com

ورغم راي ايزابيلا الذي نطقت به للتو الا انها تعلم بموهبة والدتها بل وتعجب لكونها لم تنل جائزة الاوسكار بعد . فقدراتها التمثيليه تستحق الثناء بل حتى الان وخلال حديثها مع ابنتها من السهل ان تنقاد وبسهولة للاسى الرقيق في كلماتها.ان فانيسا لوردس اشد الناس علما بمعاجم الحقد والغيره.وعالم التمثيل يشهد على مصائر ممثلات ختمت مسيرتهن الفنيه في بدايتها بايعاز من والدتها.

تقدمت الخادمة دون صوت يذكر وبعد ان وضعت صينية الشاي سالت سيدتها اذ كانت ترغب بشئ اخر لكن ايزابيلا هي من اجاب.

- نعم يمكنك..احتاج شريطا لاصقا وحبل..وبندقية تحوي طلقتين.

اتسعت حدقتا المراة ازاء ماتسمع خاصة وقد قيل بتلك النبرة الخفيضة البارده التي رافقتها تعابير اشد برودة مكسبة الجملة بعدا حقيقي.

- هيلدا لا تدعي حديثها الدرامي يخيفك..يمكنك الانصراف.

صبت والدتها الشاي ذو الرائحة العطرية الشرقية اللاذعه في قدحين دفعت باحدهما لابنتها ثم عادت لترتاح في مكانها وكانما كلتاهما معتادتين على هذه الجلسة النهاريه.اعادت ايزبيلا قدحها ذو الطعم الغريب والبعيد عن الشاي المعتاد .لابد انه الصيحة الجديده بين نخبتها وتشك ان بامكان احد ان يستسيغه .

- ما الذي تستميتين للوصول اليه ما الذي اسال لعابك هناك.

- لو لم تكوني ابنتي..لما كنت مجبرة على تحمل هذا المزاج البغيض.

- اعلم كم انت مجبرة فانيسا..بالمناسبه لقد رايت رجلا مستغرقا بالتقاط الصور لبوابة البيت عند قدومي ..يبدو كاحد هواة التصوير لكن من يدري .

- وهل التقط صورة لك.

- انه امر متعب محاولة منع الصحافة من تتبع ما يجري مع ابنتك ..صدقيني فانا اعاني لأحلق تحت الرادار لاني ايضا لا ارغب بان تتبعني قطعان البابارتزي.

تطاير الشرر من العينين الزرقاوين فاسدلت

www.liilas.com

ايزابيلا اجفانها باشارة استسلام تاركة الموضوع الذي ما ذكرته الا لتستفز والدتها لكنها علمت بانها تخوض الان في مياه عميقه.ووجه المراة الرقيق المهادن سيختفي مهددا بالكشف عن الجانب القاسي والمرعب منه والذي لم ترغب ايزابيلا بمواجهته.فوالدتها لديها هاجس من ان يلتقط احد مصوري الباباراتزي صورا حديثه لابنتها .صورا قد ترسخ في راي المشاهدين والمخرجين حقيقة ان لديها شابة فالعشرين.فلا باس مادامت الصحافة لاتملك سوى صورا قديمه لابنتها وهي دون العاشره او اصغر.تنهدت ايزابيلا و في بادرة هدنه سالتها.

- فانيسا ما الذي تريديني ان افعله.
- لاشيئ.

علمت بان والدتها قد قلبت المائدة عليها وجعلتها بسهوله الشخص المستجدي هنا.وهي مهارة فطريه فمن المستحيل ان يكتسبها المرء . ايا تكن اخطاء والدتها الا انها تبقى الانسانة الوحيده التي ربطتها بها صلة دم ولم تتخلى عنها رغم الجفوه التي بينهم .وهي ايضا من تكفل بكل امور حياتها وتعليمها في افضل المدراس الداخليه .تعلم ايزابيلا بانها تضفي على الامور بعدا عاطفيا غير حقيقي وتتناسى عمدا بان كل مايحرك علاقتهما هو خوف والدتها من الصحافه والراي العام .

- ادرك بانك لاتريدين شيئا مني فما الذي يمكنني ان افعله لاوغستين.

لوهله ظنت والدتها ستلتزم الصمت لكنها عادت لتقول بنبرة من يتسامى على الجراح.

- اردت ان يغادر جدك هذا العالم دون ان يحمل ايا منا وزر هذه القطيعه.
- سابعث له برسالة متمنية له الشفاء.
- لكنها لن تكون كافيه..اين شفقتك اين ولاؤك الاسري.
- ولائي الاسري! ما المتوقع مني؟
- زيارة للجزيره..والبقاء لفترة للتعويض عن الوقت المهدور.
- انا عاجزة عن التعليق ..انني فعلا عاجزه.
- لقد اضاعت سنوات الخصومه ما كان من الممكن ان يكون علاقة مميزه.

www.liilas.com

بالكاد استطاعت ايزابيلا ابقاء فمها مغلقا. وخاطر يجول براسها بان فالامر غنيمة بل غنيمة كبيره.فمن هي المراة النادمة هنا.

- لا مكان في حياتي لاوغستين و اسرته.
- لن تقيمي العمر كله فالجزيرة انها بضعة ايام. مما يعني بان ذهابك اليه لن يكون معضله.
- لن تكون كذلك بما اني لن اذهب .. لا يعنون لي شيئا بقدر مايعنيني التراب الذي اطاه بقدمي .
- وماذا لو كان ترابهم يقدر بمئات الالوف النقديه.

ثنت ايزابيلا اصابع قدميها بشده لتمنع نفسها من القفز واقفة وارتكاب احدى شتى الحماقات التي جالت براسها فالطمع كان سبب هذه الدعوة التي علقت عليها امالا راحت تتساقط اثر بعض.

- ما الذي يستصعبه فهمك..اخبرتك بانهم وكل مايتعلق بهم كالعدم بالنسبة لي.

ضحكت والدتها قبل ان تقول بصوت خالي من المرح.

- اوه ايزابيلا ستساوي الكثير قريبا .. ستكون سبيلك الوحيد لتبقي في عالمك الوردي ..اتظنين ان الخزانة التي اعالتك طيلة تلك السنوات ستستمر كذلك للابد ..اعيدي التفكير حبيبتي فلم يعد بامكاني ان احث كولن على ان يعيل شابة لاتربطه بها قرابة فعليه وهو يعاني كثيرا للاحتفاظ بشركته في ظل هذا الاقتصاد المتخبط.
- ساعيل نفسي بنفسي..ساعمل في وظيفة ما وساعيد له كل فلس دفعه.
- حتى تجدي تلك الوظيفه اعلمي بان اقامتك بسانت بورغ انتهت بحصولك على شهادتك وبنهاية هذا الشهر سيتعرف خدك الغض على برودة الارصفه..فكما اعرف انت لا تملكين سكنا.

صمتت ايزابيلا وقد واجهت الفكرة التي ظلت تهرب منها مذ شارف عامها الدراسي الاخير على الانتهاء .فصديقتها الوحيده تزوجت وسافرت لتلتحق بزوجها.فيما الاقامه لدى والدتها مستحيله ومرفوضة من كلا الطرفين.

- لاتخترعي اجابة خياليه لاني امل بان تكوني اذكى من ذلك..اخرون يملكون من المهارات والخبره مالم يقيهم البطالة

www.liilas.com

والتشرد..اتظنين بان هناك موقعا في العالم الحقيقي ينتظرك بصبر ..كل ماتخصصتي به هو..هو

- الرسم و..

- وهذه مهنة من لا يجد مهنه وهناك الالاف منهم..يمكنني بقلب مشفق ان اسديك نصيحة علمتني اياها السنين . لا تفرطي ابدا بالمال..فكيف بثروة كبيرة سلبت دون وجه حق منك.

- وصية ابي العتيده..

- نعم لقد ترك والدك وصية .انني متاكده بان ابيك قد ترك ثروة باسمك فقد اخبرني قبيل اسبوع من موته بانه اقنع ابيه ان يقتطع من ثروته ليضعها كارباح سنوية تودع في حساب خاص باسم طفلتيه كنت الح في طلب ذلك لاني علمت بان هوايته ستقتله.

- لو كان هناك شيئا يعود الي لاخبرنا به المحامون.

- في ايطاليا من يفرق بين المحامي وبين وسيط يعمل لمافيا.. هناك وصيه لكن اوغستين اجاد عمله..جدك يحتفظ بها لا اشك ذرة بذلك..

- مما يعني ان انفض يدي عن فكرة الارث.

- على العكس بل عليك ان تقاتلي لنيل حقوقك التي لديه..ولو اتبعتي تعليماتي ربما عدتي باكثر مما خططنا له.

- بل ما خططتي انت وحدك له.

- لقد كانت امنية ابيك الاخيره . الا يغيظك ان تري ذاك المال بيد من لايستحقه.

- كان ليسرني ان اراهم مفجوعين باكتشاف ثغرة في ثروتهم لكن لاشي يستحق ان اقيم بين تلك الضباع .

- تتحدثين بدافع الغل فقط رغم انني ارى بانك ما ان تتعرفي على حقيقة البرد والنوم بمعدة خاويه لن يعد بامكانك سوى التفكير بالمال دون الاهتمام بمصدره..لن تحتملي فانت ارق عودا .. لقد عشتي مرفهة طيلة عمرك ولن يخدعني المظهر الهيبي هذا.

اكفهر وجه ايزابيلا للكلمات التي لامست خوفا حقيقي لم تشا الاعتراف به.فكان ان نهضت على عجل وهي غير راغبة بسماع المزيد.

www.liilas.com

- اذلك ما استدعيتني لاجله.
- وماسوى ذلك.
- اذا فقد قلنا كل شي..

بدى على وجه والدتها الانزعاج الشديد وهي ترى امارات التحدي في كل خلجة من خلجات الوجه المعبر امامها .تحركت شفتيها لتقول شيئا لكنها عادت لترتاح في جلستها وقد علت ملامحها نفحة من كبر .

- لن احاول اقناعك فانا اتعلم بسرعه ومزاجك المتقلب لن يمنحك الفرصه لتحسني الاختيار..هاتفيني لو غيرتي رايك واردت وسيلة اتصال بجدك..فالنهاية انتي لا تستجدين شيئا منهم بل تطلبين حقا مغتصبا اخذ بالحيله وبامكانك استردادة بذات الطريقه..لا اتعمد القسوة هنا وافعل ذلك لانك ابنتي.

ابتعدت ايزابيلا وضيق شديد قد الم بها.خرجت من منزل والدتها تلوم نفسها على القدوم لهنا فقد علمت بانها ستخرج من هذه الابواب بمزيد من الاحباط والاسى.لن تعود ابدا لهذا المنزل فوالدتها اجهدت نفسها لسبب يصب في مصلحتها فقط وليس مصلحة ابنتها ولعلها تخشى ان تلجا للصحافة الصفراء بحثا عن المال بعد ان جف من بين يديها.ككثير من اقارب النجوم وخاصة ابنائهم ممن يقتاتون على فضح اسرار اسرهم وهو ما لن تحلم ايزابيلا بفعله . فعدى مقتها للباباراتزي وما يمت لهم بصله فهي ستخسر امها للابد لو فعلت ذلكو فهي الوحيدة التى تمثل اسرتها بعد ان تخلى اقاربها عنها فحتى اختها الوحيده لم تفكر يوما بارسال رسالة يتيمة اليها.كانوا يكرهون والدتها ولم تكن تلمهم لعدم مقدرتهم على محبتها فابنتها تجد صعوبة بذلك الحب.لكن كان من القسوة ان ينفوها هي عن حياتهم ويحرمونها من كل شي .وقبل ان تتجاوز الباب الخارجي لحديقة منزل والدتها لوحت بحقيبتها لتحطم بها راس احد المصابيح الدائريه الضخمة مهشمة اياه الى قطع صغيره.لكنه لم يفرغ شيئا من الغضب المكبوت ارادت ان تصرخ باعلى صوتها علها تتخلص من ذاك الضيق الذي حاصر قلبها.

تعسا لها لو وافقت على ماعرضته والدتها .لربما

www.liilas.com

تناست امها ما فعله اوغستين لكنها لم تنسى فقد ظلت ذكرى العراك العنيف الذي انتهى بابيها منتحبا على عتبات ذاك البيت محفورة في ضميرها.ربما هول الموقف ما ابقى الذكرى او كلمات والدتها حين كانت تذكرها بما جرى طيلة السنوات الخمس التي تلت الحادثه. فكلما هاتفتها لتسال اذ كانت هناك رسائل من اختها ادريانا او الجدة صوفيا.كان لابد ان يتضمن جوابها ذكر تلك الحادثه وتخوين الطفلة ايزابيلا كونها مازالت ترغب بشي ممن يحيطون باوغستين..الرجل الذي تسبب بموت ابيها.

اما الان لترد والدتها ماتريد ولتظن ما تظن فهي قد شبت عن الطوق ولن تعود لتلك الجزيرة ولو اهلكها الجوع .

****

بعد ثلاثة اشهر عادت ايزابيلا لذات الممر وقد توضحت الصورة امامها لم تبالغ والدتها حين اخبرتها بمعنى الحياة دون سكن او طعام او وظيفه.كانت لاشيئ في هذا العالم الواسع.ولاول مرة ادركت بانها اخطات حين اختارت مواد تخصصها الدراسيه بل تشك حقا بان التخصصات هناك تنفع حياة الفتاة العمليه وبعد تفكير تجد بانهم هناك كانوا يهيئون الدارسة لتكون زوجة لرجل في منصب مهم فذلك يتوافق والبيئة التي قدمن منها تلك الطالبات والتي اليها سيعودون.

اثنى الجميع على قدراتها الفنيه لكن هناك من هم اكثر نضجا وخبره ومازالوا يعانون معاناتها.ولكي تعيش وحتى تلوح لها الفرصة المنتظره كان عليها ان ترضى بوظائف تخالف كل مبادئها وافكارها فيما الجانب المظلم للمدينة يهتف من بعيد مما اخافها فقد رات الكثيرون يستعبدون لشهواتهم او شهوات غيرهم

www.liilas.com

رات العيون الذابله وكيف ترتسم نظرات عجوز مثقلة في ملامح صبية حطمها الادمان.
بعد عودتها لوالدتها التي حجزت لها جناحا في احد الفنادق القريبه تسارعت الاحداث من حولها بعد ان كانت الايام بالكاد تزحف زحفا.واثر اتصال من والدتها بالجدة صوفيا التقت اخيرا بادريانا التي قررت ان تستبق وصول ايزابيلا المرتقب للجزيره.
التقتا في ذات اليوم الذي وصلت به طائرة ايزابيلا لروما.
لم تكن ادريانا تشبه ابدا الصورة التي تذكرها عن اختها من ابيها .كان لقاءهما الاخير مذ مايقارب الاثني عشر عاما.وحين التقتا بالامس كانت ادريانا ترتدي ثوبا ازرقا بلا اكمام وهاهي اليوم تلتقيها ببهو الفندق بقميص ازرق بسيط وجينز لائم بطريقة ما بنيتها الممتلئه.تذكرت رغما عنها الكلمات الذائبة في خضم الذكرى..لاغنية تصف الجزيره ربما كانت الجدة صوفيا هي من لقنتهم اياها..ليست متاكده لكنها وادريانا رددتاها كثيرا ذلك الصيف البعيد.
(خضراء كحديقة الطفوله شاسعة كقلب المحب وزرقاء كالسماء في يوم اللقاء).
لقد اخبرتها الطفلة ادريانا حين توادعتا بعد الاسبوعين الذين قضتاه سويا بانها سترتدي لباسا ازرق حين تلتقيان ثانية وهو اللقاء الذي لم يرتضيه القدر.فهل كان لباسها بالامس واليوم مقصودا ام محض صدفه.لو لم تعرف السرعة التي بامكان اختها ان تلغيها من حياتها لاحبتها فورا ومن دون ان تعنى بايجاد كلمات تتودد بها.فلدى اختها عينان بندقيتان رقيقتان تتوسط وجه ناعم يالفه الاخرون بسهوله.
لايمكنها تخمين وجهة نظر ادريانا فيها لم تبدو مصدومة كثيرا بالاسلوب السوداوي الذي ارتدت به ايزابيلا ثيابها المطعمة كالعادة بقطع الجلد الداكنه والحلي الفضيه لكن التردد الذي لاح سريعا فالعينين المزينتان بطلاء رموش وظل دراقي ناعم لم يفت الاخرى التي احاط الكحل الاسود العريض حدقتيها البنفسجيتان .كانت نظرات ايزابيلا مازالت محتفظة بعدوانيتها رغم محاولة ادريانا بالامس اكتساب ودها.ولربما زاد الامر سوءا وجود الرجل الذي عرفتها به كخطيب

www.liilas.com

لها. انه الاستاذ الذي اشرف على نيلها شهادتها الجامعيه وهو اكبر منها بسنوات لا يستهان بها .لقد التقته الان قادما مع شقيقتها ليودعها قبل ان تسافر هي الاخرى برفقة ايزابيلا.بدى مرتاعا من هيئة الاخت الصغرى التي برزت من العدم وعاجزا عن ادارة اي حوار معها خلال فترة الانتظار.وقد اربكته النظرات الثاقبه التي لم تترك قطعة منه دون تفحص.اخيرا وبملل عتقت الرجل المسكين من ذاك الامتحان وقد وجدته راسبا فيه بكل المقاييس. لايمكنها ان تجد شيئا يدفع ادريانا للتمسك به ولو تزوجا فلن ترفرف السعادة لمدى طويل فوق رؤوسهم.تجاوزت الفكرة وقد انتفى اهتمامها بما ستؤول اليه حياة ادريانا.

لم تتفوها بالكثير خلال الرحله فايزابيلا كانت تزداد تجهما كلما ادركت انها تكاد تصل لقدرها المحتوم اما ادريانا فقد جعلها الاحباط من عدم استجابة اختها المشجعة تركن للصمت هي الاخرى .

ورغم مدة لقاءهم القصيره الا انها لاحظت بان ادريانا التي تكبرها بأربعة اعوام تفتقد حس المبادره اما بدافع الخجل او عدم الاهتمام.كانت تسترق النظر اليها بين حين واخر لم يكن هناك شبها بينهما مطلقا.لكن الشي الوحيد الذي لم يكن به شك هو حاجة ادريانا لخسارة بعض الوزن.باغتها ان الاخيرة قد التقطت نظراتها المنتقده ولابد انها فطنت لراي ايزابيلا بها فقد تدفق اللون لوجنتيها حرجا .وكشخص اعتاد ان يستفز الاخرين ويستمتع بوضعهم خارج منطقة راحتهم وجدت ايزابيلا بان نوعا من الندم قد اعتراها لما تسببت به.لكنها صرفت ذاك الاحساس بالاستناد الى مقعدها واغلاق عينيها في محاولة للنوم.

عند وصولهم لمطار باليرمو بوكاديفالكو الذي يقع في باليرمو احدى اهم المدن الصقليه كانت قد توقعت ان يتجهوا لاقرب ميناء فكما فهمت فالجزيره التي سيقصدونها اصغر من ان تحتوي مطارا للطائرات لكنها تفاجات بان عليهم الانتظار قليلا ريثما تصل المروحية التي ارسلت لاحضارهم. فقد وصلت طائرتهم قبل موعدها بنصف ساعه.

www.liilas.com

أثناء الانتظار تناولاتا بعض المرطبات وخلال ذلك باءت محاولات ادريانا لجذب اختها للحديث عن حياتها بالفشل فراحت تتامل في الغرباء الذين ينتظرون ايضا من يقلهم. وبطريقة بعيدة عن اللياقه القت ايزابيلا براسها على طاولة القهوه المستديره وقد بدات تحس بتاثير ساعات الطيران الطويله وما صاحبها من قلق.فسارعت ادريانا بابعاد قدح قهوتها الساخن بعيدا عن الخصلات التي تناثرت على سطح الطاوله دون انذار.ثم انحنت هامسة.

- بيلا هل انتي بخير..
- انا على افضل ما يكون .. مجرد ارهاق.

يا الله متى كانت اخر مرة دعاها احدهم ببيلا.فهي الان اما ايزابيلا او ايزي .كانت توشك ان تنال غفوتها حين سمعت ادريانا تهتف بسعادة .

- انه جياني .

رفعت راسها وعبر عينين غائمتين لمحت الشاب الطويل الذي دخل عبر باب المقهى الزجاجي طرفت بعينيها لتجلي بصرها كان يسير بخطى واسعه جارى بها السرعة التى انطلقت بها ادريانا قبل ان يتلقفها ويدور بها نصف دائره كانه لايحمل ثقلا فرغم طوله الا انه يبقى انحف من ان يتلقى وزنها ثم شرعت بحديث سريع وضاحك باللغة الايطاليه قبل ان تسحبه من ذراعه لتقدمه لايزابيلا المنبهرة بالتغيير والحماس الذي اكتنف وجه شقيقتها.ايا يكن هذا الشاب فتاثيره كبير على ادريانا ام هي السعادة لقرب خلاصها من الاجواء الغريبه التي سادت هذه الرحله.

- ايزابيلا هذ هو جيوفاني ابن العم سلفيو..لا ادري اذ كنتي تذكرينه
- لا ..لا اذكره
- انه الصبي الصغير ذو الوجنتين الممتلئتين في جميع صورنا

هزت ايزابيلا كتفيها كاشارة لجهلها بما تتحدث اختها عنه.فاجاب الشاب بانجليزية لاتشوبها شائبه.

- لايهم كوجينا يسعدني ان اتعرف بك من جديد

كانت ايزابيلا قد ارتدت قناع التحفظ الشديد وهي تلتقي ثاني افراد اسرة ابيها رغم صعوبه

www.liilas.com

الامر كون الشاب الذي يقف امامها يملك عينين تضيئان بمرح يدعو الغير للمشاركة به وابتسامة لا تدع مجالا للتردد.
فهمهمت بتردد.
- مرحبا .
طيلة طريق العوده كانما ادريانا قد تحولت لشخص اخر فقد كانت مرتاحة وهي تتبادل المزاح مع الشاب الذي لم يكن يجد صعوبه في جعلها تبتسم طيلة الوقت.لقد اخبرتها بعد تعرفها بجيوفاني بانه بمثابة اخيها الصغير رغم ان الشاب قد اوحت بنيته والحنكة التي ادار بها جدالهم الساخر بانه اكبر عمرا.كان وسيما دون شك تماما كالصورة التقليديه للشاب الايطالي بشعره الاسود الكثيف الذي ماثل لون عينيه الواسعتين ووجنتيه العريضتين المنتهية بذقن مثالي.

تحدث جيوفاني اليهما الاثنتين عبر السماعات الملحقة بالمروحية التي كان يقودها بنفسه.ورغم ادعائها اللامبالاة فبالكاد منعت صيحة الخوف والمروحيه ترتفع بطريقة خرقاء او هكذا راتها.حتى كادت ان تمسك بخناق المدعو جيوفاني طالبة منه ان يعيدها الى الارض الثابته.وقد لبثت دقائق معدوده تراقب الطريقة التي يدير بها الاجهزة العديدة التي امامه الى ان اقتنعت بانه ولو بدى اصغر من الهيئة التقليديه لقباطنة الطائرات الا انه يعلم مايفعل.
كانت الرحلة قصيره وقد ارتاحت بما يكفي لتستمتع بما تراه في الاسفل حيث تلالات اشعة الشمس كالمرايا الصغيره على صفحة المياه اللازورديه.والزبد الابيض المرتفع يصطدم بالقطع الصخرية الناتئة فوق الماء والمشيرة لبقايا جزر غمرتها المياه منذ سحيق الدهور.ثم عبروا بعدها فوق ما يشبه الجزر الجرداء .
وبعيدا حيث الافق لمح الوهج المحيط بجزيرة اخرى وكلما اقتربوا توضحت الصورة البهيجه للارض لتي غلبت عليها خضرة الاشجار المفضية لشواطئ رمليه ذائبة في مياه متدرجة الزرقة.
فهمست :
- كالصور التي في المجلات.
- بل اجمل..ستفتنك نوفولا.

www.liilas.com

لم ترد على الحماس الذي لاينتظر اجابه في صوت ادريانا وتابعت النظر للارض التي يبدو لها بانها لاتتجاوز الخمس عشر كيلومترا طولا وربما سبعة كيلومترات عرضا.كانت الجزيرة خالية فالمنتصف الا من بناء كبير حوله مسقوفات صغيرة .لكن المساكن الكثيره والمتفاوتة الحجم انتشرت في اقصى الغرب الذي تجاوزوه قبل قليل.اما الجانب الشرقي الذي راحت المروحيه تحوم فوقه فقد احتل نهايته منزل ضخم يكاد يكون قصرا واسع الاطراف بحدائق شاسعه توزعت على امتدادها عدة اكواخ صغيره تظنها فالحقيقة اكبر مما يظهر لها من هذا الارتفاع.

هبطوا اخيرا الى الارض وكان في استقبالهم رجل في منتصف العمر قام بمساعدة جيوفاني على حمل الامتعه و وضعها بعربة بيضاء مكشوفه شبيهة بالتي يستخدمها لاعبي الغولف .وقد رافقوه على متنها حتى مدخل البيت الرئيسي.كانت ايزابيلا مذهولة تماما بما ترى.علمت دائما بان اسرة ابيها فاحشة الثراء.لكن ساكني هذا المكان يتمرغون فعلا بالنعيم.عند عتبات المدخل الواسع وفي الظل كان

هناك خيال رجل طويل يقف بجانب امراة ضئيله ولم تكن العربة قد توقفت تماما حين انطلقت ادريانا وبرشاقة تلفت الانتباه لتلقي بنفسها بين ذراعي المراه ثم تبتعد لتقبل الرجل ذو الشعر الفضي الواقف بقربهم.نزلت ايزابيلا بهدوء وقد ارتفع احد حاجبيها ساخرا من الحماس الذي اكتنف المنظر امامها فكانما اختها تعود بعد غياب سنين لا بضعة ايام.

حاولت ايزابيلا التشبث بالامبالاة كدرع واق تجاه اللقاء الوشيك الذي تسارعت معه نبضات قلبها مما اثار حنقها اكثر.فهي ترى الموقف اتفه من ان يستحق ذلك.

ورغما عنها لم تتمكن من ابقاء يدها في قبضة جيوفاني الذي امسكها ليعتلي معها العتبات العريضه فسحبتها مخفية اياها في جيبي بنطالها.

لم تستطع ان تحدق بالرجل المهيب الذي ثبت بصره الحاد عليها ..هل هذا هو جدها اوغستين ام هو احد اعمامها فلم يبدو لها بذاك المرض او حتى ببشرة شديدة التغضن انه الشعر الابيض

www.liilas.com

الابيض الذي تركها حائرة في عمره..اما المراة الذابلة العينين ذات الشعر الحالك السواد ورغم سنوات البعد الا انها تعرفت عليها انها الجده صوفيا عمة ابيها وشقيقة اوغستين.لكنها لم تستعد مطلقا للعناق الذي غمرتها به.فلبثت متصلبة الكتفين وحين رفعت يدها كان ذلك لتبتعد عنها.بطريقة ما كرهت الخيبة التي تركتها على وجه المراه الكبيرة لكنها لم تعتد القرب.بل تكره ان يقتحم اي مخلوق محيطها الشخصي. فكيف باناس تجاهلوها تماما والان يفيضون عليها بعاطفتهم الامر الذي اثار ارتباكها .

لم تفتها التقطيبة التي علت جبين الرجل ولحسن حظها لم يعرض سوى كفا ضغطت على يدها بحزم ورغم الاتفاقية التي عقدتها مع والدتها جاءت نبرتهاجافه.

- كيف حالك اوغستين..
- اوغستين !!

كان الاستهجان الذي اتبعه حديث سريع من صوفيا بلغة ايطالية لم تفهم منها شيئا اعقبته بانجليزية متعثره.

- بيلا..انه بابي اوغستين ..وانا نانا.

لم ترد على التماس الجدة صوفيا الواضح فصالبت ذراعيها فوق صدرها وهي تشعر بانها قد وضعت في موقف غير مريح بتاتا.ثم تحدث جدها بصوته العميق وبلكنة ثقيله قست نبراتها.

- كانت تحت جناح الغراب لفترة طويله..قد التمس لها عذرا.

اثارت كلماته الوجيزه تلك مزاجها العدواني.فراحت عيناها تبرقان وهي تراجع ردها على تعرضه لامها ونعته اياها بتلك الصفه.لكنه لم يمنحها الفرصه حيث استدار تاركا الساحه صامتة.صرت ايزابيلا على اسنانها لانها اضاعت الفرصة فلم تسمعه مايستحق لقد خذلتها سرعة بديهتها في اول اختبار.

جاء صوت ادريانا رقيقا وهي تضم الجدة صوفيا اليها بما يشبه المواساة فيما العجوز تحاول بابتسامة مزعزعه فهم اسباب التحول المفاجئ لهذا اللقاء المرتقب ثم اثارت ارتباك ايزابيلا حين عادت لتحضن كفها بين يديها الصغيرتين هامسة بما يشبه الاستعطاف.

www.liilas.com

- بيلا..بجعتي الصغيره..بابي اوغستين لم يقصد..انها الادويه تجعل مزاجه سيئا.

استبد الضيق بايزابيلا فحاولت سحب يدها لكن العجوز رفعتها لتضعها على خدها لتحس برطوبة الدمع عليه.

- بيلا اشتقتك دهرا طفلتي.

قيلت بعاطفة تحرك الحجر فكيف بقلب ضائع بعدم ثقة مريع.لكن القلب استسلم للحقيقة.فكان ان ربتت على خد الجده صوفيا .

- نونا ..لاباس.

ضحكت ادريانا بارتياح وهي تشعر بزوال الشحن الذي رافق هذا اللقاء.

اما جيوفاني الذي كان صامتا طيلة هذه الدقائق فتمتم هو الاخر بشي.

قبل ان يبتسم لايزابيلا قائلا :

- كلمة واحده اثارت هذه الزوبعه اظنك ستحركين المياه الراكدة كوجينا .

****

نظرت ايزابيلا لانعكاس صورتها فالمراة وقد تاكد لها بان اوغستين العزيز سيغتاظ من هيئتها التي لم تحز رضاه منذ البدايه.لقد احضرت معها الفساتين التي اصرت والدتها ان تاخذها معها فلابد انها تعلم مسبقا راي اوغستين في الالبسه التي يراها مخلة باي مناسبه محترمه.لكن ايزابيلا لن ترتديها مهما اغوت حسها الانثوي الراغب بنعومة تلك الارديه.

اعادت تاكيد احمر الشفاة القاني وقد ظهر بريق اسنانها اللؤلؤي عبر ابتسامتها اللاهيه.ثم مرت باصابعها خلال الخصل الناعمه تدعكها كي تكسبها الهيئة التي تريد.كانت ترتدي بلوزة حريرية ليلكية عالية العنق من دون اكمام مما يعني بانها سترتدي اساورها دون اي اعاقه .مسدت بنطالها القطني الاسود الشديد الضيق في نهايته معترفة بانه لايمثل رداء السهره الامثل لكن عليهم ان يرضوا بما يرون.

تناهت اليها الاصوات من الشرفه الخارجيه التي اثروا تناول العشاء فيها عوضا عن احدى صالات البيت الواسعة التي راتها عندما صحبتها ادريانا

www.liilas.com

بعد وصولها في جولة سريعه في ارجاء المكان.
لقد اخبرتها بان الجهة الشرقيه التي تقع فيها حجرتها وحجرة ايزابيلا فيها جناح كامل يستضيف عمهم البيرتو واسرته التي اعتادت ان تقيم الصيف فيه ومن المتوقع وصولهم خلال اسبوع اما الناحية الاخرى فتقيم فيها اسرة العم سلفيو وهم في رحلة قصيرة لروما وعودتهم منتظرة خلال يومين وهناك الجدة صوفيا .واخيرا شخص اشارت له باسم نيكولاي دون توضيح.وهو يقيم فالجهة التي تقع تحت حجرتيهما مقابل جناح اوغستين .
اغلقت ايزابيلا باب حجرتها خلفها وقد احاط بها هدوء غريب.
لا يمكنها ان تنكر حقيقة اعجابها بالبيت بل بالمكان كله.عبرت فوق السجاد العسلي الوثير متاملة فيما حولها ورغم انه لم يمضي على وجودها سوى بضعة ايام الا انها الفت المكان بسرعه ولم يعجبها ذلك بتاتا .فقد احتلت الجده صوفيا وادريانا حيزا كبيرا من يومها على عكس اوغستين الذي وباحباط اعترفت بانه استطاع ان يجعلها كمن يقف على اطرافه ازاء حضوره المهيب.ومهما ادعت الا انها لا تستعيد طبيعتها الا بعد ان تغادر المكان الذي يجمعها به.لا تدري اذ كان الجميع يحس بعدم ارتياحها لكنها تشك بانه يجهل ذلك كان يوجه الحديث المقتضب اليها وكانت ردودها اشد ايجازا.لكن مع حفيديه الاخرين كان هناك ليونة ملحوظه في تعامله معهما .خطر لها بان جدها لربما يمقت رؤية شبهها الضئيل بوالدتها التي لا شك لديها باحتقاره لها .
لقد شجعتها والدتها ان تستعمل دهائها لتتحقق من ما جاءت لاجله.لكنها ومنذ الدقيقة الاولى التي التقت بها الشيطان المتهالك علمت بانها لن تهادنه ولو خسرت هدفها الذي قدمت لاجله.ستكتفي بادريانا والجدة صوفيا اللتين ضمنتهما وستستفيد منهما بطريقة او باخرى وستحاول ان تنهي مهمتها بسرعه .
قبل ان تصل السلالم المفضية للطابق الارضي القت نظرة اخيرة عبر النافذة الجانبية فوجدت بان الجميع متواجدون على مائدة

www.liilas.com

العشاء باستثناء جيوفاني.لقد تاخرت دون قصد هذه المرة وسيسعدها ان تتحمل نظرات جدها المنتقدة عدم مراعاتها لنظمه الصارمة فعلى عكس الافطار والغداء يكاد يكون الجلوس على مائدة العشاء مقدسا بطقوسه التي يصر فيها على وجودهم جميعا خلال وقت محدد وارتداء مايليق من لباس.

هبطت للطابق الارضي وقبل ان تبتعد لمحت من بعيد باب غايتها مواربا على غير المعتاد.

لقد وضعت ومنذ قدومها مكتب الجد نصب عينها .فقد حثتها والدتها ان تحاول الوصول لوثيقة تثبت امتلاكها اسهما او ودائع اما باستدراج اوغستين او ايجاد طريقة تصل بها لاوراقه الخاصه.

وبما ان اوغستين لا يبدو قريبا من الصورة السقيمه للشيخ المريض التي توهمتها والدتها.فلم يتبقى امامها الا ان تحاول بطريقة اخرى. توجهت للمكتب بخفه وهي تسوق الاعذار لاحتجاجات ضميرها فهي لاتسرق هنا ولاتبحث سوى عما يخصها.وربما لن تجد فرصة افضل من الان فخلال ايام سيمتلا البيت بعودة المسافرين من اهله وكذلك الضيوف.

القت نظرة خلفها قبل ان تدخل دون ان تقفل الباب . لاتملك الكثير من الوقت وهي متاخرة سلفا .جالت بنظرة سريعة فالمكتب الذي كان اكبر مما توقعت وقد قسم لجانبين فالبداية صالة صغيره مرت خلالها متجاوزة خزانة الكتب العريضه التي وضعت خلف اريكة قابلها مقعدان من الجلد قبل ان تصل لطاولة المكتب الكبيرة المصنوعة من الساج الداكن اللامع وقد جهز بمختلف الاجهزة المتطوره.

متعجبة كون اوغستين ملم باستعمالها راحت تتصفح الملفين الموضوعين على المكتب وهي تشك بان يحتويا شيئا يخصها فاهملتهما سريعا وجالت اصابعها على الادراج لتجدها مغلقة باستثناء اثنين منها وقبل ان تشرع بالبحث فيهما.جاءها الصوت القوي صاعقا.

- افعلي وستندمين.

تجمدت حيث هي محدقة فالباب ظنا منها بانها سترى صاحب الصوت المفزع هناك

ثم عادت تتلفت حولها دون ان تعثر على خيال

www.liilas.com

انسان.هل عبث الخوف بها فتوهمت سماع الصوت.استعدت لترك المكان وقد بهتت رغبتها في البحث.وكالمرة الاولى جفلت وهي تسمع الصوت يقول مجددا .

- من انت ..وما الذي تبحثين عنه.

مدت يدها بشك للشاشة امامها ملامسة لوحة مفاتيح الحاسوب لتكبر الصورة الصغيرة التي ظنتها ثابتة في زاوية الشاشه.وقد تاكدت الان من مصدر الصوت الذي ظهر الغضب جليا فيه . فامام عينيها تبدى الوجه الذي لائم الصوت تماما .تراجعت لا ارادیا وقد شعرت بان الرجل خلف الشاشه سيتجسد امامها بتلك القوة المنبثقة من عينيه الداكنتين والتي راحت ترقبها بحدة عيني صقر .

تمالكت اعصابها وقد قررت ورغم سخافة المحاوله التظاهر بانها لم تره ولم تسمعه وانها ما اتت الى هنا الا لغاية سليمة فجلست على الكرسي عابثة بالاقلام امامها. ثم حملت ثقالة الورق ذات التفاصيل الدقيقة متاملة فيها.وكان توتوها في تصاعد وهي تشعر بالرجل الصامت خلف الشاشه لدرجة لاتعقل.وحين انتبهت لرعشة يديها وضعت الثقالة مجبرة نفسها على عدم القفز من الكرسي ومغادرة المكان فورا. وعوضا عن ذلك استرخت للخلف ملقية بشعرها فوق مسند راس الكرسي ثم مدت يديها كمن يتمطى خالي البال.

- لخير مصلحتك اجيبي عن سؤالي .

كان قد ختم سؤاله بنبرة ملغومة جعلتها تتناسى قرارها وتواجهه مبعدة الخصلات التي يستتر وجهها عادة خلفها وبغضب بادلته الهجوم وهي التي تكره ان تحصر فالزاويه.

- من انت لتسالني ها...ما انت الا مهرج خلف الشاشه.. مالذي بامكانك ان تفعله..

ثم راحت تطرق باصابعها الشاشة امامها.

- ايمكنك ان تمد يدا وتخنقني ..

توقفت وقد رات الخيار الذي عرضته مرسوما في عينيه.اخبرها حدسها ان تحذره فجاء سؤالها عفويا هذه المره .

- من انت.

لم يجب لكن التعبير الذي ارتسم على وجهه

www.liilas.com

اثار عدم راحة عميق بداخلها.لم يقلها لكنها ادركتها انه الرجل الذي وبلا شك لديهما سيفعل ماتتوعدها به عيناه.
عتقها من ارباك اللحظه صوت جيوفاني الذي وقف في مدخل المكتب مبتسما.
- كما توقعت انه انت .. هل اضعتي طريقك.
تنهدت بارتياح وقد وجدت عذرا لتبتعد عن الشاشة ومن يقف خلفها.
- لا لم اضع طريقي بل تبعت فضولي ..فلا اظن اوغستين سيعرض ان يريني اياه.
مالت ابتسامته بتعاطف .
- بل سيفعل لو اعطيته الفرصه.
تقدم ليضع المفتاح في احد الادراج وموجها الحديث للرجل المتواجد على الشاشه معتذرا.
- اسف لتاخري نسيت اين وضعت المفاتيح..(ثم التفت لايزابيلا ضاحكا) كنت ابحث عن المفاتيح في حجرتي حين اعاد الا تصال بي لاتحقق من وجود متطفل في المكتب..ما ان قال انها امراه حتى توقعتها انت.
لقد اتصل اذا بجيوفاني قبل ان يحدثها او خلال تظاهرها بعدم رؤيته .
- لربما اخطات فيما فعلت .
- لا لم تفعلي لكنك اثرت ريبة نيكولاي..بالمناسبه انها بيلا ابنة العم ريكاردو شقيقة ادريانا.
لم تكن لتبادر الرجل الاخر بالتحيه وهو الذي قرر تجاهلها بعد ان قدمها جيوفاني اليه.
- جياني سنعيد ترتيب الارقام فالملف من جديد .. هلا اخليت المكان لنبدا.
انه يطردها فلا يوجد سواها ليخلي المكان .ثم اكمل مثيرا حنقها.
- ما ان ننتهي احرص على ان تقفل جميع الادراج .
ليس عليها ان ترضى بتلك التلميحات الصارخه حتى لو استحقتها.
توجهت بغيض دون ان تنتظر الكلمة من جيوفاني.الذي قال ملطفا الامر .
- لا تستعجلوا ترك مائدة العشاء فلا استسيغ الطعام وحيدا.
- انت ادرى باوغستين .

www.liilas.com

اغلقت الباب خلفها شاكرة حسن حظها حين لم تتمادى في التفتيش بين ادراج المكتب بطريقة مفضوحه امام ذاك المدعو نيكولاي.
لا تعرف من يكون وتامل حقا ان يكون مقر اقامته في هذا البيت لا يتجاوز شاشة الحاسوب.لكنها متاكدة بان ادريانا ذكرت شخصا يدعى نيكولاي وهو يقيم هنا.
عليها ان تستعجل ما اتت لاجله فلديها يقين بان الايام القادمة ستكون حبلى باحداث ليس في نيتها ان تشهدها.

****

www.liilas.com

الفصل الثاني

بعد انقضاء اسبوع كان الجميع قد عادوا للجزيرة والبعض منهم برفقة ضيوف. و بات البيت يضج بالاصوات والصخب حتى لم يعد هناك زاوية الا وكان لاحدهم حركة فيها.تاملت ايزابيلا كعادتها مايجري من خلف ستارة النافذه.من المفترض ان هؤلاء هم افراد عائلتها ورغم ذلك لم تكن لتتعرف اليهم لو التقتهم صدفة قبل قدومها للجزيره. بدى العم البرتو اقرب شبها لابيها من عمها سلفيو وربما كان هذا ماجعلها تميل اليه اكثر .عادت عيناها لتضيق وهي تراقب المراة الرشيقة التي اقتربت من ادريانا حاملة كاسها متهادية لما اغراها.

ومن هذا البعد امكنها ان تلحظ امارات الضيق تحيط باختها فايا يكن ما قالته فانه دفع بادريانا لتحريك يديها كمن يبرر امرا. لكن الاولى اعطتها ظهرها منهية الموضوع بقلة احترام جليه.لتضاحك الشاب الذي كان ضمن دائرة صغيره مكونة من شابتين اخريتين.

انتظرت الخطوه التالية لادريانا لكنها اكتفت بسحب مقعدا جلست عليه تاركة ظهرها للاخرين بما لا يدع مجالا للشك بقدر استيائها.

الان وبعد ان اتيحت لها الفرصة لتتعرف بالجميع صار لديها اعتقاد راسخ بان اوغستين لن يكون وحده المشكله هنا.فهناك سلينا ابنة العم سلفيو والاخت الكبرى لجيوفاني كانت شيئا لايطاق وباقرب من ظنها قد تقع المواجهة بينهم . فايزابيلا لا تملك سعة بال تجاه المتنمرين.

اشاحت ببصرها عنهم للمدعوة انجيلا تلك المثيرة الاهتمام هي الاخرى. فلم تجد لوجودها تفسيرا خاصة وهي امراة بلغت الثلاثين ومازالت مستكينة لظل والدها الذي قدم بدعوة من خطيبته الجدة صوفيا .

بحثت عن خيال الجدة صوفيا الضئيل وحين وجدتها رقت نظرتها انها تختلف عن اوغستين

www.liilas.com

كاختلاف الليل والنهار. رقيقة بكل لمحة فيها ولديها عدم تركيز مضحك لا تدري معه كيف امكن لخطيبها الواقف بجوارها ان يجري معها حوارا طويلا فما اسرع ان تلتهي بامور جانبيه اخرى.

ابتسمت وهي تفكر بان العجوز الشاردة الذهن لم يفتها حسن الاختيار فخطيبها رجل وسيم احتفظ برشاقته رغم بلوغه الستين من عمره وهو يصغرها بما لايقل عن خمسة اعوام.

يصادف اليوم ذكرى ميلاد ابنته انجيلا الثلاثين وقد اصرت صوفيا ان تقيم حفلة تليق بالمناسبه . انضمت ايزابيلا اليهم على غير رغبة منها فهي لا تعرف الجميع وبعض من تعرفه تفضل ان تتحاشاه. ولايبدو بانها افلحت بذلك .

- عودة الابن الضال .

وحتى قبل ان تلتفت لم تشك ايزابيلا بانها المقصودة هنا.فابتسمت تنتظر ما قد يردف تلك الجملة العديمة المعنى.

- خطر لي ذلك وانا اراك الان تسيرين فالمكان كانك عشت طيلة عمرك فيه.

- كنت احاول ان اقدر الممتلكات و ما قد يؤول الي من ثروه مستقبلا.

ضحكت سلينا لتلك الجملة التي لم تعرف فعلا على اي محمل تاخذها.ثم مالت براسها كمن يتامل بشيئ غريب قبل ان تسالها.

- لقد حضرت منذ فترة قريبة احد افلام والدتك بدت فاتنة فيه..انت لاتشبهينها.

- من حيث الفتنة لا احد يشبهها اوافقك على ذلك.

- يالا لساني الفظ لم اقصد ماقد يفسر خطأ.

- لا باس فلم اسيئ فهمك .

مطت سلينا شفتيها محاولة ان لاتظهر مفاجاتها بكون طريدتها لن تكون سهلة.

- ربما كان الاختلاف في الطريقة التي تبدين بها وان كانت تناسب تماما ما ترتدين لكن الا تؤلمك تلك الحلقات كيف بامكان اذنك تحملها.

قيلت بنبرة اهتمام لربما قدرها غيرها لكنها ابنة فانيسا لوردس التي لاتساوي هذه البعوضة شيئا مقارنة بقدراتها وتعلمت ان تكشف الزيف كيفما كان فلم تفتها محاولة التحقير الخفية لهيئتها

www.liilas.com

ولابد انها مقدمة لاهانة حضرت سلفا . اخذ الغضب يتراقص خلف ومض العينين البنفسجيتين. لكنها تابعت الابتسام وبنبرة مماثله اجابتها.

- لا لا تؤلمني..وبامكان اذني ان تتحمل كما تحمل انفك خسارة طرفه.

تعالت ضحكات الثلاثة الذين كانوا يجلسون حول الطاولة المستديره التي تركتها سلينا لتكلمها .لابد بان الاخيرة قد وعدتهم بمنظر مثير للسخريه لكنها لم تتوقع ان تنتهي هدفا له. و بعد ان تجاوزت صدمتها التفتت هاتفة بادريانا التي لم تكن تجلس بعيدا.وحين اقتربت لتستطلع الامر. راحت سلينا تفتح فمها وتغلقه كما لو ان الكلمات تتصارع لتخرج لكنها فالنهاية لم تنبس بحرف وقد شوه الغيظ ملامحها الجميله . ثم غمغمت من بين اسنانها .

- ادريانا كيف امكنك..كيف امكنك ان تخبريها.

وبحركة متشنجة اتجهت لابيها الواقف بجوار مجموعة اخرى ساحبة اياه من ذراعه ولم تكن بحاجة للقرب لتسمع . فمن التوتر في ملامحها ايقنت بانها تتقدم بشكوى عريضة ضدها.التفت العم سلفيو اليها مقطبا وكانه يفكر بالقدوم لتوبيخها كادت تضحك من سخرية الموقف .فما الذي يجري هل عادت لعمر الخامسة وستتلقى ضربة على ظهر يدها بالكاد استطاعت ان تحافظ على عدوانية ملامحها التي ارسلت رسالة تحد صريحه ربما جعلته يغض الطرف عما انتوى لانه احاط ابنته بذراعه وابتعد بها مواسيا. لمحت الحيره على وجه ادريانا كمن يفكر بامر اللحاق بهما ولكن يبدو ان الحديث الذي لمحته بين الاثنتين قبل ساعه مازال مخيما بظله عليها.

ارتفعت ايزابيلا بجسدها لتجلس على سور الشرفة متظاهرة بتامل نوافذ البيت واملة الا تحاول اختها اللحاق بسلينا.لكنها تفاجات بصوتها اللطيف عادة وقد شابه الغضب.

- مالذي قلته لها.

- وان لم اخبرك ما الذي بامكان دجاجة مثلك ان تفعله.

لم تقصد ايزابيلا ان تنهي حديثها بتلك الطريقه لكن لديها رد فعل ذاتي يجعلها تستجيب لادني

www.liilas.com

استفزاز تتعرض له. عجبت للشعور ذاته الذي انتابها للمرة الثانيه وهي ترى انسحاب اختها كمن يداري وجعا.فقالت لا تعرف كيف تتدارك الامر.

- اشرت لانفها لان لدي يقين بانها ملكت انف بنوكيو ذات يوم.
- لا..اوه لا.. لم تقولي ذلك صراحة.
- لم اعرف بانه سر لاكتمه.
- انها تظنني من اطلعك على حقيقة الامر.

راقبت تعابير ادريانا التي كانت حائرة لكنها ورغم ذلك رات الشماتة هناك فابتسمت على غير ارادة منها.لاتعرف مدى العلاقة بين الاثنتين لكنها لا تظنها تسبح فالعسل بل هناك دبور مزعج لايكف عن الزن.

كان نهارا طويلا تمشت خلاله بين الطولات التي وزعت بطريقة مريحه على المرج العريض الممتد امام شرفة المنزل الرئيسيه.وبعد ان ابتعدت بما فيه الكفاية عن الضحك والحديث المتواصل عادت لتلتفت لهؤلاء الغرباء عنها والذين دلت الراحة فيما بينهم على العلاقات المتينة التي تربطهم .

اشتدت قبضتاها وشعور شبيه بالحقد يملا خلجاتها لانهم وحتى دون ان يحاولوا جعلوها تشعر بانها كالمنبوذة بينهم.

اشاحت بنظرها لزرقة البحر القريب.وخطر لها بانها قد اشتاقت لانجلترا ولاجوائها الداكنة التي كرهتها عادة.والمضحك فالامر والذي لا يصدق هو الشوق المفاجئ لرؤية وجه امها .

كانت السهرة تكرارا مملا لاحداث النهار.لكن الجميع بدوا كانهم قد اتفقوا على تجاهلها ولولا الكبرياء الذي تملك الكثير منه لصعدت لحجرتها مبكرا.كانت على وعي بحركات سلينا التافهه و التي ذكرتها بسنواتها الاولى فالمدرسه لقد تعمدت ان يكون همسها للدائرة التي احاطت بها مسموعا بدرجة كافيه لتعلم ايزابيلا بانها فحوى خافت الحديث والضحك .

ابتسمت ساخرة من الموقف لتلتقي عيناها بعيني اوغستين الضيقتين فكان ان رفعت كاسها بتحية بعيدة عن الاحترام.قابلها باشاحة جعلتها تكاد تلقي بكاسها لتحطمه كي يعلم بل يعلم الجميع بانهم لايهمونها مطلقا.

خلال السهره ابهر والد انجلا الحضور والنساء

www.liilas.com

خاصة بالعقد الذي اهداه لابنته وقد امكنها ان ترى بريق احجاره من مكانها هذا .ثم كانت المفاجاة الكبرى من اوغستين ذاته اذ دخل الطهاة يدفعون اضخم تورتة راتها ايزابيلا بعينيها المجردتين وقد ظهر على انجلا التاثر وسالت اوغستين ان يسمح لها بان تدعوه بابي اوغستين امرا وافقها سعيدا عليه.

نجت من السهرة وعادت لحجرتها متعبة من الامر كله ومستعده للرحيل لولا علمها بان قدرها لاينتظرها بسعادة هناك . ايقنت بان امها كانت محقة بنصيحتها فالمال يشتري كل شي بما فيها السعاده خلافا لكل خرافة تقول عكس ذلك. لو انها ملكت

المال ما نظر اليها نصف الحضور في حفل هذه الليله بنظرة متعالية رغم انها لاتقل شانا عنهم وللمرة الثانيه اعادت فتح الحقيبة التي تحتوي الثياب التي اختارتها والدتها لها.تاملت فالثياب واثقة بان الواحد منهم سياخذ بانفاس الاخريات لكنها عادت لتغلق الحقيبة بحزم وتعيدها اسفل السرير حيث دفعت بها منذ اول يوم لوصولها هنا.

بمقدورها ان تذهلهم لو ارتدت تلك الملابس لكنها شعرت بانها سترضيهم فقط وستحتقر ذاتها فالمقابل.

****

بعد ثلاث ساعات ومدفوعة بالرغبة بالخلاص السريع من تلك المسالة المعقده نزلت للطابق السفلي بخفة تحسدها القطط عليها. كان الصمت المطبق يعم المكان لقد تاخر المحتفلون بالسهرة حتى ان الخدم صرفوا للنوم دون ان يزيلوا بقية الاطباق والكؤوس و التورتة الضخمه التي خلت من بعض جوانبها.

حين وصلت الباب تمتمت دعاءا قصيرا تتفاءل به .لتبتسم وقد استجابت لها اكرة الباب.دخلت بسرعه مغلقة الباب خلفها ومتمتمة بحماس .

- افتح ياسمسم .

و دون تاخير وبعد ان تاكدت بان الحاسوب مطفئ تماما مدت يدها للادراج التي وجدتها ولخيبة املها مقفلة جميعا. كان من المنطقي ان

www.liilas.com

جيوفاني موجود في روما و اوغستين لم يستخدمه اليوم وهو الذي عادة يتواجد فيه منذ الخامسة صباحا.فكرت بان تستخدم الاساليب التي تعلمتها من رفقتها حين كن يتسللن في ارجاء المدرسة الداخليه ويعبثن بالخزائن والادراج .فلا تظنه صعبا فتح الدرج لكنه من الخشب الاملس ولابد ان تترك المحاولة اثرا .تأوهت بسخط لان عليها ان تؤجل خططها ليوم اخر.عادت لتتصفح الملفين ذاتهم الذين وجدتهما فالمرة
السابقه لكنها هذه المرة ولانها كانت اكثر طمانينة وتملك الكفاية من الوقت فقد امكنها ان تنتبه لورقة تحمل شعارا لمكتب محاماة في روما .لاتدري هل هو المسؤول عن معاملات اوغستين او مجرد مكتب له علاقة ثانوية به.
حملت الورقة بين يديها محاولة ان تتهجئ الكلمات التي لم تفهم منها سوى كلمة اوثنتين. ومستغرقة فيما بين يديها خرجت من المكتب وقبل ان تغلقه خلفها تعالت اجراس الانذار داخل راسها وبالغريزة اتجه بصرها للباب المقابل .
لو ان ما راته الشيطان بنفسه لترك التاثير ذاته للرجل الواقف هناك والذي لم يعد وجها في شاشة الحاسوب بل خطر تقدم منها وملؤه وعيد. لا شعوريا كادت ان تتراجع لتدخل المكتب وتقفله عليها لولا انها ستضطر لتوضيح سبب تصرفها لاحقا.لايمكنها ان تصدق سوء حظها هذا فلابد ان الرجل قد عاد لتوه من سفره. فقد كان يحمل بيده حقيبة ما. استجمعت شجاعتها وعوضا عن ان تلقي بالورقة كما خطر لها فالبدايه مالت كانما اغلاق الباب يحتاج منها ذاك الجهد ثم دست الورقة التي جعدتها داخل قميصها.
التفتت غير راغبة لتواجه الرجل الذي هالها عن قرب طوله الذي هيمن بفارقه عنها. رفعت عينيها لتلتقي بريق العينين الداكنتين .كان كل مايحيط بهذا الرجل وفي هذه الاضواء الخافته مدعاة للقلق.

- ايزابيلا

قالها ليوضح بانه يعرف من تكون لكن النبرة حملت اقرارا غير مريح تماما.فردت رافعة احد حاجبيها متمسكة ببقايا جراتها العتيده ومعيدة الكرة لملعبه.

- نعم ..نيكولاي

www.liilas.com

ضاقت عيناه لكنه و بذات الصوت الخفيض ذي البحة الواضحه قال.

- لنبدا اولا بتسليمك للورقة التي اخفيتها.
- لا املك فكرة عما تتحدث عنه
- تلك التي اخفيتها داخل قميصك اعطني اياها فلا مزاج لدي لجدال طويل.

انهي حديثه بغضب واضح وامر اشد وضوحا.

- ومن قال باني ساضيع وقتي لاجادلك في مثل هذه الساعة من الليل.

تركته وهي كاتمة لانفاسها متوقعة ان يعترض طريقها ومع هذا تفاجات بقبضتة التي اطبقت على اعلى ذراعها .

- قلت اعطني اياها.

استدارت حانقة ومنتفضة في محاولة لم تسفر سوى عن الالم لذراعها التي لم تستطع تخليصها منه.فغمغمت وقد خالط توترها غضب صرف.

- اتركني ايها الغول قبل ان اصنع مشهدا يحضره كل قاطني هذا البيت.

جذبها لتصبح اقرب ومحنيا راسه حتى شعرت بانفاسه تلامس وجهها.ومن بين اسنان مطبقه اعاد طلبه.

- قلت سلميني الورقة..الان

وكانما اكتفى بما راه تادبا منه مد يده بسرعة ليلتقط الورقة من بين ثنايا القميص.

شهقت وقد هالتها وقاحته. ولولم تكن تخشى ان تفضح خططها حين يقرا الورقه لصفعته على وجهه الغير مبالي بما فعل.لم تمهله ثانية واحده فلربما كانت قصيره لكنها رياضية تفخر بقدراتها . قفزت منتشلة الورقة من يده , لكنها لم تبتعد كثيرا حين شعرت بجسدها يطوح به لتصبح باتجاه معاكس لجهة السلم التي كانت ستقصدها.

هنا تمكن منها الخوف اللامنطقي وقد ادركت بانها باتت طريدة لهذا الرجل.تخلصت من السترة القصيرة التي امسك بتلابيبها وانطلقت باقصى سرعتها لتدخل الصالة الواسعة التي اقيم حفل الليله فيها. لم تدري الى اين تهرب فتوقفت خلف طاولة الطعام الضخمة لتحتمي بها كحد فاصل بينهم .

لطالما احتقرت الضعف الانثوي الذي يجعل المراة تصرخ ولاتفه الاسباب.لكنها الان وبعينين

www.liilas.com

لم يكن يسال عن رايها لكنها اجابته.ثم لوت معصميها وقد اعانتها الكريما لتتملص من بين يديه متجاوزة الطاولة بسرعة .ومبعثرة الانفاس نظرت للخلف متوقعة ان تجده في اثرها لكنه كان في مكانه يتامل الورقة التي باتت بين يديه.غاظها انه في النهاية حصل عليها فتوعدت.

- سوف تدفع ثمنا غاليا لفعلتك هذه و لاتلافك ثيابي..وشعري ايضا.

لكنه لم يجب فقد كان عاقدا حاجبيه بعد ان تعرف على مافي الورقه دون ان يفهم حاجتها لها.

- ما الذي كنتي ستفعلينه بهذه الورقه

- طائرة ورقيه .. ماشانك بما افعله في مكتب جدي من انت لتسالني.

- الرجل الذي سيبيد كل مخططات راسك الصغير.

كان الغضب ما زال يتاجج في جوفها حتى كادت تعود لتصفي حسابها معه متناسية فرق القوة والحجم.

- ما انت الا رجل سافل حقير و..

تجاوز المائده متجها اليها ما جعلها تقطع اهاناتها وتنطلق بسرعة البرق ولم تتوقف الا في اعلى السلم. نظرت للاسفل لتجده يخطو الهوينا وابتسامة هازئه تعلو شفتيه وهو يقصد المكتب.اذا لقد اراد ان يسخر منها حين تظاهر بانه سيتابع هذه المهزله لقد تعمد اظهار جبنها باستعراض القوى ذاك.همست من اعلى السلم بصوت مسموع.

- سوف تندم ايتها الحشرة التافهه.

ربما سمعها لكنه اكتفى باغلاق باب المكتب خلفه بهدوء. وبينما وقفت تتميز غيظا في مكانها.انتبهت لحقيقة تثير السخريه فكل ماجرى وبدى دهرا حدث في ظرف عشر دقائق والغريب بان صراعهم دار بين صمت وهمس فقد احترم كلاهما هدوء المكان ولم يريدا اثارة مشهد علني.عادت لغرفتها وتوجهت مباشرة للحمام وامام المراة اخذت قسما بالانتقام لانعكاسها المزري. لم تكن ابتسامتها سعيده وهي تلاحظ بانها لم تضطر ان تستخدم ملطف الشعر فقد ادت الكريما دوره بفعاليه.وضعت راسها على الوسادة فامكنها ان تشم رائحة الفانيليا المنبعثه من شعرها فعاودها الغضب كيف تجرا ان يفعل ذلك معها فقد تصارعا صراع زوجين قديمين لا غريبين يلتقيان للمرة الاولى . استاءت لفكرة ان

www.liilas.com

هيئتها قد تكون لعبت دورا في جعله يقل احترامه تجاهها هل كان سيفعل ذلك لو كانت ترتدي ثيابا تقليدية عوضا عن هيئتها الهيبيه تذكرت الطريقة التي استل بها الورقة من قميصها فجلست مشدودة كالوتر ولم تهدا بالا حتى سمعت تهشم التحفة الصغيرة التي القت بالوساده اليها.

****

رغم انها نامت متاخرة الا انها استيقظت في تمام الثامنة صباحا دون سبب لم تكن قد اكتفت بذاك القدر الوافي من النوم لكن لم يعد لديها رغبة فالبقاء في الفراش .شرعت النوافذ ليذهلها المنظر الذي لا تظن بانها ستعتاده . فلا يمكن لمياه ان تكون بتلك الزرقه سوى في الرسومات التي راتها ممثلة فالاساطير السلتيه . بل حتى النسيم القى بتعويذته عليها وقد اختلطت به روائح الزهور عابقة بملوحة البحر فراحت تستنشقهم شاعرة برئتها تتطهر بعد اعوام اعتادت بها تلوث لندن. اغتسلت على عجل ثم انطلقت تحمل حاجياتها البسيطة التي استعارتها من جيوفاني قبل يومين وهي زعنفتين ونظارة غوص مزودة بخرطوم للتنفس.

اطربها تراقص الرمال الناعمة التى تناثرت حول قدميها قبل ان تلامسها الموجة الاولى ورغم الدفء الا ان المياه مازالت بارده غاصت متلذذة بالموج الذي غمرها بنعومة الحرير وسعيدة بالخفة التي ارتفعت بها روحها حين طفى جسدها على السطح. وكالاوز طفقت تغوص وتصعد مستمتعة بما حولها الى ان لمحت الحركه التي لم تكن بعيدة عنها .

www.liilas.com

حدقت بتركيز على صاحب الساعدين الذي راحا يشقان الماء بقوة.ثم اتسعت عيناها وقد تعرفت اليه ما الذي يحدث لم تتوقع اللقاء بهذه السرعه.لامت حظها التعس الذي لم ينصفها مجددا. ولبثت في مكانها حتى اجتازها كأن لم يرها الى ان وصل الشاطئ. تقدم جهة صخرة ملتقطا المنشفة الموضوعة عليها ومجففا شعره قبل ان يلقيها على كتفيه.

قد يقدر مصور لاحدى المنتجات الاعلانيه منظره ذاك.لكن ليس هي وقد راته

يجلس على الصخرة محدقا جهتها وبين حين واخر يقذف بحجر الى الماء كمن ينتظر.

ارتعشت بتاثير النسيم الصباحي فاقدة ادنى رغبة بالسباحة . شدت من عزمها املة ان لا يكون قد لاحظ ترددها ثم خرجت من الماء لتحمل حاجياتها مارة بجواره في طريق عودتها .

- صباح الخير.

كان الامتعاض على وجهها كفيلا باطلاق ضحكته.

- يمكنك ان تردي التحيه فلن اراها بادرة استسلام .

لم تتنازل لترد او حتى تلتفت اليه وبينما لامست قدميها الدرجات الحجريه المؤدية للبيت اجفلتها الصخرة التي ارتطمت بقرب قدمها و لم تشك بمصدرها .تجاهلتها هي واخواتها اللاتي تتابعن .لقد كان يحاول استفزازها ورغم انه لم يصبها الا انها حين بلغت اعلى الممر الحجري كان غضبها قد بلغ اقصاه فالتفتت رغما عنها لتجده قد ترك الصخرة التي كان يجلس عليها متوقفا عند اولى العتبات. ولاول مرة تطلب تبريرا من احد .

- مابك اريد ان اعرف فقط ما خطبك معي.

اطرق براسه كانما يفكر بسؤالها ثم مال بوجهه لتلمح النظرة الحزينة في عينيه.

- لم تردي علي حين قلت صباح الخير..وهذا اذى شعوري.

ارتفع حاجبيها فيما بقي فمها ذاهلا عن الاجابه.لكن القهقة التي اهتز لها كتفيه جعلتها تدرك بانها باتت هدفا سهلا لسخريته .توقف عن الضحك متاوها وقد اصطدمت بصدره نظارة الغوص التي قذفتها بقوة .

- لم استحق هذا..لقد ارتكبت خطا فادحا.

- نعم وانا اسفة له فقد اردتها في راسك .

ابتعدت على عجل غير راغبة بتبين نواياه فالرجل

www.liilas.com

فالرجل حقا غريب الاطوار والاسوأ ان يظن شخص مثلها ذلك .

****

www.liilas.com